
جدور نشأة نظرية إعجاز القرآن^(١)
وبيان وجوها في القرون الأولى

د. مرتضى كريمي نيا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد:

إنّ أقدم المصادر الكلامية والحديثية والتفسيرية لعلماء المسلمين في القرون الأولى قلّما بيّنت نظريّة واضحة في مجال وجوه إعجاز القرآن، في حين شهد مطلع القرن الخامس تبلور هذه النظرية بشكل وافٍ وكامل في مصنّفات محقّقي تلك الحقبة مثل الباقلاني، القاضي عبد الجبار والشريف المرتضى. إنّ غياب مثل هذه الأبحاث من جانب وبزوغ كمّ هائل من الأبحاث القرآنية الأخرى في الآثار الإسلامية للقرون الأولى من جانب آخر أثار تساؤلاً في الأوساط العلمية وهو أنّ العلماء الإسلاميين منذ متى تطرّفوا إلى موضوع إعجاز

(١) تعريب: هيئة التحرير.

القرآن وتبيين وجوهه، وما هي الظروف التي ساقتهم إلى تناول مثل هذا الموضوع؟ نحاول في هذه المقالة من خلال المرور على جملة من الأبحاث ذات الصلة بهذا الموضوع معرفة محطتين تاريخيتين لظهور الأبحاث والنظريات في مجال وجوه إعجاز القرآن في القرون الأولى:

المحطة الأولى: هي الأبحاث والمناظرات الكلامية للنصارى والمسلمين

في مجال علائم نبوة الرسول الأعظم محمد ﷺ.

والمحطة الثانية: هي المساعي الأدبية والكلامية لمعتزلة البصرة وبغداد،

حيث نرى في تلك الحقبة متكلمي المعتزلة قد تطرّقوا إلى هذا الأمر بشكل واسع خصوصاً في القرن الرابع، حيث بدت ملامحه واضحة في أواخر هذا القرن. وفي بداية القرن الخامس بدا التنظير في باب إعجاز وتبيين وجوه إعجاز القرآن أكثر وضوحاً في المصنّفات الكلامية والتفسيرية لعلماء سائر الفرق الإسلامية المعروفة آنذاك، وقد تحوّل إلى واحد من الأبحاث الأساسية في علم التفسير وعلوم القرآن.

المقدمة:

هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تدعو مخاطبيها إلى التحدي - فيما إذا كانوا يشكّون في صحّة دعوة الرسول الأعظم ﷺ ويعدّون القرآن من كلام البشر أو أنّه كذب ومقتبس - على أن يأتوا بسورٍ أو بسورةٍ من مثله كما في (سورة هود الآية ١٣، يونس ٣٨، والطور ٢٣ - ٢٤)، وفي بعض الآيات تصريح قاطع على أنّ

الإنس والجن لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً كما في (سورة الإسراء الآية ٨٨) وكما في (سورة البقرة الآية ٢٣) التي تصرح ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

وعلى الرغم من وجود التأكيد الصريح للآيات القرآنية الأنفة الذكر في التحدي والتعبئة إن استطاعوا - وذلك لإثبات حقايق وصحة دعوة الرسول الأعظم ﷺ - فإن موضوع إعجاز القرآن وتبيين الوجه أو الوجوه المختلفة لإعجازه لم يكن موضع اهتمام المفسرين والمحدثين في القرون الأولى، بالرغم من أن موضوع إعجاز القرآن له ارتباط وثيق مع موضوع إعجاز الأنبياء في علم الكلام.

إن موضوع البحث في هذه المقالة هو المسار التاريخي لمبدأ نشوء نظرية إعجاز القرآن وتطور بيان وجه إعجازه في القرون الأولى. بناء على هذا فإن البحث في هذا المقال له طابع تاريخي، ومن الطبيعي في الدراسة التاريخية لنظرية الإعجاز أن ننأى بأنفسنا عن الاعتقادات العلمية أو غير العلمية التي نعتقد بها في عصرنا الحاضر، وأن نسعى جاهدين لاتخاذ آليات أكثر دقة لدراسة الأسناد والمصنّفات المتبقية من العصور الغابرة دراسة أدبية وتاريخية، ونحاول أن نكتشف من خلال دراستنا لهذا الموضوع طريقة وكيفية دراسة القدماء له وخاصة الرعيل الأول من علماء الإسلام، وكيفية تبلور وتطور الآراء العلمية في باب إعجاز القرآن ومدى ارتباط ذلك بالظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية والمذهبية والعلمية في تلك الحقبة. وبناء على ذلك فإن هذه المقالة لم تكن في صدد ترجيح

أيّ واحد من الآراء في بيان وجه إعجاز القرآن أو في صدد طرح نظرة جديدة لموضوع إعجاز القرآن الكريم، ولذلك فإنّ هذه المقالة انتهجت منهجية تاريخية محضّة.

ونحن نسعى في هذه المقالة إلى مراجعة الشواهد التاريخية والنصوص المدوّنة لتلك الحقبة وبذلك نكون قد سلكتنا مسلكاً جديداً في مسار ظهور وتطوّر النظريّات الأولى في باب إعجاز القرآن، وإنّ طريقة البحث هذه مبتنية - في الأغلب - على التحليل الأدبي (Literary analysis)^(١).

(١) من بين المقالات والمصنّفات التي لها صلة بموضوع هذه المقالة - غير ما ذكر من المصادر فيها - هناك عدداً من المقالات والكتب المفيدة في هذا المجال ومن بينها:

Heinz Grotzfeld, "Der Begriff der Unnachahmlichkeit des Korans in seiner Entstehung und Fortbildung," **Archiv Für Begriffsgeschichte: Bausteine zueinem historischen Wörterbuch der Philosophie** (Bonn) 13 (1969) pp. 58-72. Angelika Neuwirth, "Das islamische Dogma der Unnachahmlichkeit des Korans in Literatur wissenschaftlicher Sicht", **Der Islam: Zeitschrift für Geschichte und Kultur des islamischen Orients** 60 (1983) pp. 166-183. Matthias Radscheit, "I'gaz al-Qur'an' im Koran?" **The Qur'an as text**, edited by Stefan Wild, Leiden, New York & Köln: E.J. Brill, 1996, pp. 113-123. Joseph Sadan, **Certain apologies of the Biblical poetics and prosody some Christian and jewish reactions to the inimitability principle of the Quran**. Jerusalem: The Hebrew University, 1993. Joseph Sadan. "In the eyes of the Christian writer al-Harit Ibn Sinan

إن مناقشة أيّ نظرية علمية يتطلّب دراسة خلفيتها التاريخية، وإنّ النظريّات العلمية في مسارها التاريخي إنّما تتبلور وتتطوّر جرّاء تعاطيها مع الجوّ الاجتماعي والثقافي والعلمي السائد هناك مضافاً إلى تأثيرها وتأثرها بسائر النظريّات الأخرى المماثلة لها من خلال ما تبديه من تفاعل وردّة فعل اتجاهها والتي تأتي تارة لسدّ الثغرات أو لرفع إشكالات تلك النظريّات. وبناءً على ذلك فإنّه من الطبيعي أن لا نتوقّع من العلماء الإسلاميين والمفسّرين في القرون الأولى - في منطقة ما وراء النهر أو حتّى في المدينة والكوفة والبصرة - ما حدث من تبلور في عملية التنظير في باب وجوه إعجاز القرآن وبلوغها أوجها في القرن الخامس وما بعده في بغداد. وعلى الرغم من أنّ المصادر الإسلامية والروايات التاريخية قد نقلت لنا العديد من الأخبار في ردّ المعارضين في القرنين الأوّل والثاني الهجريّين مثل مسيلمة وابن المقفّع وفشلهم إلاّ أنّه لم نحصل على أيّ معلّم من معالم تكوّن وتبلور نظرية إعجاز القرآن وبيان وجوه إعجازه في كلا هذين القرنين.

إنّ المؤلّفات الإسلامية التي بدت معالمها العلمية لائحةً في أواسط القرن الثالث الهجري في سائر المجالات العلمية - مثل التفسير، علوم القرآن، الفقه، الحديث، السيرة، الكلام، الممل والنحل، والأدب وأمثالها، مضافاً إلى الأبحاث

☞ Poetics and eloquence as a platform of inter-cultural contacts and contrasts" **Arabica: Journal of Arabic and Islamic Studies** 56 (2009) pp. 1-26. Yudian Wahudi, "The debate about the Sarfa: pro and against" **The Islamic Quarterly** (London) 46iii (2002) pp. 235-246.

الجمّة والأسئلة القرآنية والتفسيرية العديدة - لم تبدِ اهتماماً واضحاً ولم تولِ أهمية علمية لموضوع إعجاز القرآن. وعلى العكس من ذلك فإنّ المؤلّفات الكلامية والقرآنية والتفسيرية قد شهدت في القرن الخامس وما بعده تفصيلاً في مسألة إعجاز القرآن وبيان وجوهه. وبطبيعة الحال فإنّ مسألة إعجاز القرآن وتبيين وجوهه في المجتمع الإسلامي لم تكن بحدّ ذاتها الشغل الشاغل لعلماء المسلمين وذلك لأنّ قسماً كبيراً من المجتمع الإسلامي يعتقدون بقدّم القرآن؛ هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ عامّة المسلمين تربطهم بالقرآن أوامر إيمانية واعتقادية وثيقة فلم تكن مسألة الإعجاز مطروحة للبحث في ذلك الزمان. لذلك لمّا لم يكُ هناك أيّ تحامل أو تعدي على القرآن وعلى النصّ القرآني أو التعريض بإعجازه، فإنّ العلماء الإسلاميين لم يروا من الضروري إبداء أيّ نظريّة في مجال إعجاز القرآن. إلا أنّ عدم وجود بحث علمي في إعجاز القرآن أصبح بحدّ ذاته يُثير تساؤلاً مهمّاً عند مقارنته مع تطوّر سائر الأبحاث القرآنية المطروحة آنذاك.

مباحث إعجاز القرآن قياساً مع أهمّ الأبحاث القرآنية والتفسيرية

في القرون الثلاثة الأولى

لقد ذكرنا آنفاً إنّ إعجاز القرآن بالشكل الذي نراه اليوم في التفسير وعلوم القرآن لم يكن محلّ بحث أو اهتمام علماء الإسلام في أواسط أو حتّى أواخر القرن الثالث الهجري. وذلك يعني أنّ علماء الإسلام بما فيهم الفقهاء والمفسّرون

والمحدثون وحتى الأدباء الذين لهم ميول للأبحاث القرآنية لم يروا ضرورة في التنظير في باب وجوه إعجاز القرآن، ويتجلّى هذا الأمر بوضوح عندما نلاحظ تبلور وتطور الأساليب المختلفة في تفسير القرآن، وازدهار أنواع العلوم القرآنية المختلفة، وكذلك النظريات المتنوعة في سائر الأبحاث القرآنية في خلال القرون الثلاثة الأولى. ولمزيد من التوضيح لا بد لنا من مقارنة بين موضوع عدم التنظير في باب إعجاز القرآن وبيان وجوه إعجازه في القرون الأولى وبين سائر الأبحاث القرآنية والتفسيرية المهمة في نفس تلك الحقبة. بعض هذه الأبحاث هي عبارة عن: الروايات المنقولة من سنن اليهود في تفسير القرآن (الإسرائيليات)، ذكر أسباب النزول أو حتى جعلها، جعل ووضع الكثير من الروايات في فضائل القرآن وفضائل السور، المباحث المتعلقة بوجود وعدم وجود المفردات الدخيلة في القرآن، المجاز في القرآن، متشابه القرآن، غريب القرآن ومشكله، الناسخ والمنسوخ، كيفية جمع القرآن وتدوينه، رسم المصحف وكُتِب المصحف، قراءات القرآن و... التي تعدّ جميعها من الأبحاث السائدة لدى المسلمين في أحوالهم العلمية في القرون الثلاثة الأولى، حيث تتجلّى هذه الأبحاث في نهاية القرن الثالث بوضوح في تفسير الطبري.

لا يوجد أي أثر لموضوع إعجاز القرآن وبيان وجوه إعجازه في المصنّفات القرآنية والتفسيرية للقرون الثلاثة الأولى، مثل: كتاب **الأشباه والنظائر** (لمقاتل ت ١٥٠ هـ)؛ **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** (لموسى بن هارون ت ١٧٠ هـ)؛ **متشابه القرآن** (للكسائي ت ١٨٩ هـ)؛ **مجاز القرآن وفضائل القرآن** (لأبي عبيدة

ت ٢٢٤ هـ)؛ معاني القرآن (لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش ت ٢١٥ هـ)؛
 غريب القرآن (لأبي عبد الرحمن اليزيدي ت ٣٣٧ هـ) مشكل القرآن (لابن قتيبة
 ت ٢٧٦ هـ)؛ تفسير غريب القرآن (لابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ)؛ إعراب القرآن ومعانيه
 (للزجاج ت ٣١١ هـ)؛ غريب القرآن المسمّى بنزهة القلوب (لأبي بكر محمد بن
 عزيز السجستاني ت ٣٣٠ هـ)؛ تفسير ابن عباس (والذي عرف فيما بعد تolkم
 القرون بعنوان تنوير المقباس من تفسير ابن عباس)؛ تفسير سفيان الثوري
 (ت ١٦١ هـ)؛ تفسير مجاهد (ت ١٠٤ هـ)؛ تفسير الكلبي (ت ١٤٦ هـ)؛ الجامع:
 تفسير ابن وهب (ت ١٩٧ هـ)؛ تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)؛ معاني
 القرآن (للفراء ت ٢٠٧ هـ)؛ تفسير القرآن (لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١
 هـ)؛ تفسير سهل التستري (ت ٢٨٣ هـ)؛ تفسير الطبري (ت ٣١٠ هـ)؛ الواضح في
 تفسير القرآن (للدينوري ت ٣٠٨ هـ)؛ تفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)؛ تأويلات
 القرآن (للماتريدي ت ٣٣٣ هـ)؛ كتاب التنزيل والتبديل (للسياري ت حدود ٢٦٠
 هـ)؛ تفسير العياشي؛ تفسير علي بن إبراهيم القمي^(١).

ولابدّ هنا من الإشارة إلى أمر وهو أنّ مفسّري القرون الأولى في تفسيرهم

(١) إنّ أقدم المتون الكلامية المتبقيّة من القرون الأولى ومن جملتها (الفقه الأكبر) لأبي حنيفة
 بالرغم من أنّها تتناول أهمّ المسائل الكلامية لكنّها عارية عن الإشارة إلى موضوع (إعجاز
 القرآن) أو من البحوث القريبة منه، وكذلك أيضاً (الفقه الأبسط) - المبسّط من (الفقه الأكبر) -
 وقد احتوى على جوابات أبي حنيفة على أسئلة تلميذه أبي مطيع البلخي - حيث يرجع
 ونسينك تاريخ تأليفه إلى منتصف القرن الثالث - لم يحو أيّ إشارة إلى موضوع إعجاز القرآن.

لآيات التحدي مثل (البقرة: ٢٣؛ يونس: ٣٨؛ هود: ١٣؛ الإسراء: ٨٨) لم يذكروا سوى المعنى اللغوي للآية وذلك مثل (أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٤/١؛ القمي ٣٤/١، ٢٥/٢ - ٢٦؛ الفراء ١٩/١) أو أنهم كانوا يقتضرون على بعض الشروح المختصرة للآية وذلك مثل (مقاتل ٩٣/١، ٢٣٨/٢، ٢٧٤، ٥٤٩؛ الطبري ١٢٩/١ - ١٣١، ٨٢/١١، ١٠٦/١٥ - ١٠٧). حيث يتبين مما ذكره المفسرون في هذا المجال في تلك الحقبة أن مفهوم ونظرية إعجاز القرآن وتبيين وجوهه لم تبلور كما هي عليه عند متكلمي ومفسي القرون اللاحقة بل كانت غائبة عنهم^(١).

إن موضوع النسخ والمنسوخ في القرآن هو من أقدم الأبحاث التي لها صلة بنفس النص القرآني والتي تناولها العلماء الإسلاميون في غضون القرنين الأول والثاني. وإن أقدم المصنّفات التي ألفت في باب النسخ والآيات المنسوخة إنما تعود لآخر القرن الأول، وهي المصنّفات التي ألفتها أمثال قتادة بن دعامة (ت ١١٧ هـ)، محمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ هـ) - برواية أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي -، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وغيرهم^(٢).

(١) إن أكثر من اهتمّ بآيات التحدي وشرح معجزة الرسول الأعظم ﷺ من هؤلاء المفسرين هو تفسير الطبري (آية ٢٣ من سورة البقرة) حيث يعكس لنا نشاط المذاهب الكلامية في بغداد والبصرة، ومع كل ذلك فإن الطبري في تفسيره الآية المعروفة من (سورة الإسراء آية ٨٨) ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ قد اكتفى بذكر سبب نزول الآية فقط. قارن ذلك مع تفسير الجصاص (أحكام القرآن ٣٥/٥) في القرن الرابع حيث تبدو أطروحته في نظرية الإعجاز واضحة في تفسيره لهذه الآية (انظر: Martin. pp. 183 - 184).

(٢) انظر: فهرست ابن النديم: ٤٠ للاطلاع على فهرسة من المصادر القديمة في هذا المجال.

ومن خلال مصنفات أوائل القرن الثاني وما تلاه من القرون يتبين أن موضوع النسخ قد تناوله علماء الإسلام - سواء من الناحية النظرية أو من ناحية تعيين الآيات المنسوخة - في تلك الحقبة.

وقد بدأ البحث عن المفردات الدخيلة في القرآن وعن أبحاث مثل غريب القرآن ومشكل القرآن منذ القرون الهجرية الأولى، وقد بلغت المصنفات التفسيرية والعلوم القرآنية ذراها في غضون القرنين الثاني والثالث الهجريين، فقد ذكرت المصادر القديمة الموافقين والمخالفين لوجود المفردات الدخيلة على القرآن منذ زمن ابن عباس ومدرسته التفسيرية في مكة وحتى الحقبة الزمنية للشافعي في أواخر القرن الثاني الهجري، كما أن تدوين وتصنيف الكثير من المصنفات المستقلة في باب مشكل القرآن أو غريب القرآن أيضاً أصبحت أكثر تداولاً في غضون القرنين الثاني والثالث الهجريين، حيث نعثر على بعض تلكم العناوين في فهرست ابن النديم^(١)، حتى أن النجاشي قد نسب مصنفات مثل غريب القرآن وفضائل القرآن إلى أقدم أصحاب الأئمة عليهم السلام مثل أبان بن تغلب (ت ١٤١ هـ)^(٢)، هذا وإنّ القراءات ونظام نقل مختلف القراءات أيضاً قد دوّنت وتمّ ضبطها ضبطاً دقيقاً في أقدم النصوص الإسلامية ومن جملة كتب المصاحف، والآثار الأدبية في باب القرآن (مثل مجاز القرآن، مشكل القرآن وغريب القرآن)، ولذلك فقد اهتموا بهذا الأمر في غضون القرون الثلاثة الأولى

(١) فهرست ابن النديم: ٣٧.

(٢) انظر: رجال النجاشي ١ / ١١.

اهتماماً كبيراً حيث نرى ذلك واضحاً في أقدم التفاسير القرآنية مثل **تفسير الطبري ومعاني القرآن** للفرّاء. وفي نهاية القرن الثالث اختار ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) القراءات السبعة من بين سائر القراءات المختلفة حيث ألف **كتاب السبعة**، حيث أدّى هذا الأمر في القرون التالية إلى تثبيت القراءات السبعة في قبال القراءات الشاذة وغير المعترف بها رسمياً^(١).

وإنّ البحث عن وجود المجاز في القرآن أيضاً هو واحد من أهمّ الأبحاث النظرية فيما يتعلّق بالنصّ القرآني حيث يعدّ من أقدم المواضيع المطروحة بين علماء الإسلام في القرون الأولى، وإنّ جذور هذه البحوث نستطيع العثور عليها في البحوث العلمية الأولى للمعتزلة، إلا أنّ هذا الموضوع جلب اهتمام الكثير من العلماء والمفسّرين الإسلاميين في نهاية القرن الثالث الهجري، وقد ذكر ابن النديم في **فهرسته** (ص ٧٣) **كتاب الردّ على من نفى المجاز من القرآن** للحسن بن جعفر الرّحّي، وهذا العنوان في حدّ ذاته يكشف لنا عن وجود أبحاث كثيرة في زمن تأليف الكتاب تناولت نفي وإثبات موضوع المجاز في القرآن. هذا وإنّ عبد العظيم المطعني في **كتاب المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع**^(٢) قد بيّن جوانب مختلفة لظهور وتطوّر مسألة المجاز في القرآن في أقدم المصادر الأدبية والنحوية والبلاغية والتفسيرية للقرن الثاني وما بعده من القرون^(٣).

(١) انظر فهرست ابن النديم: ٣٨ - ٣٩ للاطلاع على فهرسة لأقدم الآثار في موضوع القراءات.

(٢) المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع ١ / ٥ - ٦٠٢.

(٣) انظر أيضاً: الاتجاه العقلي في التفسير لنصر حامد أبو زيد: ٩١ - ١٣٧.

وقد أبدى علماء الإسلام في هذه الحقبة إلى جانب بحث القراءات اهتماماً مستقلاً لبعض الأبحاث الحديثية والتفسيرية، وأحد تلك الأبحاث هو تبين الوجوه المختلفة لنقل رواية (الأحرف السبعة) وبيان الوجوه المختلفة في فهم تلك الروايات، حيث إن اهتمام مفسري ومحدثي علماء الإسلام في القرون الأولى بهذه المسألة لا يمكن قياسه مع اهتمامهم بموضوع إعجاز القرآن، وقد ذكرت روايات عديدة في ردّ أو تأييد (الأحرف السبعة) حتّى في أقدم المصادر الحديثية الشيعية^(١) حيث يعكس لنا ذلك مدى الجدل الحادّ في هذا الموضوع وفقدان بحث إعجاز القرآن في عصر الأئمة عليهم السلام وفي أجواء المحدثين الشيعة. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الطبري في نهاية القرن الثالث الهجري تكلم بصورة مفصّلة حول هذه المسألة في بداية تفسيره إلا أنّه لم يتطرق إلى أيّ شيء في باب إعجاز القرآن لا في مقدّمة التفسير ولا في سائر فصول هذا التفسير، ولم يتناول بتاتاً اصطلاحات من قبيل إعجاز القرآن أو معجزة القرآن وأمثالهما، وقد أشار إشارات قليلة إلى هذا الموضوع في تعليقه على الآية (٢٣) من سورة البقرة وذلك فيما يخصّ مسألة التحدي في القرآن^(٢).

كما أنّ في روايات أئمة الشيعة أيضاً قلماً نعثراً على إشارة إلى موضوع إعجاز القرآن وتبيين وجوهه^(٣)، هذا في حين أنّ مواضيع مثل قراءات القرآن،

(١) تفسير العياشي ١ / ١٢؛ الكافي ٢ / ٦٣٠؛ الخصال ٢ / ٣٥٨.

(٢) انظر:

Adang, pp. 170-172; Martin, pp. 183-184; Abdul Aleem, p.78-184.

(٣) انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ / ١٣٠؛ الهداية الكبرى: ٧١ حيث إنّ المصدر الأخير اشتمل

على سائر معجزات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

طريقة قراءة القرآن، أسباب النزول، الأحرف السبعة، الناسخ والمنسوخ، نقض الإسرائيليات أو قبولها، خلق أو حدوث القرآن كثيرة في الروايات الشيعية القديمة والمدونة في الجوامع الحديثية. ففي **فهرست الشيخ الطوسي ورجال النجاشي** هناك مواضع عديدة وكم هائل من المصنّفات القرآنية والتفسيرية مثل تفسير القرآن، **تأويل ما نزل في... تفسير غريب القرآن**، كتاب التنزيل، كتاب القراءات، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الوجوه والنظائر، إعراب القرآن، مجاز القرآن، فضل القرآن، فضائل القرآن، ثواب القرآن، متشابه القرآن، ناسخ القرآن ومنسوخه، معاني القرآن، غريب القرآن، نوادر علم القرآن، باطن القرآن، و... وليس هناك أيّ ذكر لتصانيف أصحاب الأئمة عليهم السلام وعلماء القرون الأولى في باب إعجاز القرآن سوى كتاب **الموضح** للشيخ المرتضى وكتاب **جوابات أبي الحسن سبط المعافى بن زكريّا في إعجاز القرآن** للشيخ المفيد حيث لا لبس في كون هذين الكتابين من مدونات القرن الخامس الهجري، والحسن بن موسى النوبختي (ت ٣١٠ هـ) في **فرق الشيعة** أيضاً لم يذكر شيئاً في باب نظم أو إعجاز القرآن، وكذلك الكليني (ت ٣٢٩ هـ) في **الأصول من الكافي** أيضاً لم يُفرد له بحثاً في هذا المجال، ولم ينقل أيّ رواية في هذا الباب، والنجاشي^(١) هو الوحيد الذي ذكر كتاباً متأخراً ونسبه للشلمغاني (ت ٣٢٢ هـ) تحت عنوان **نظم القرآن** وهو كتاب لم

(١) رجال النجاشي: ٢ / ٣٧٩.

يعلم أصله ومحتواه^(١) .

العوامل التي أدت إلى نشوء بحث إعجاز القرآن

في المصنّفات الإسلامية القديمة

إنّ مناقشة إعجاز القرآن في المصنّفات الإسلامية وبحثه هو موضوع يختلف عن سائر الأبحاث التفسيرية والعلوم القرآنية، خلافاً لأبحاث النسخ، القراءات، التفسير، الأحرف السبعة، فضائل القرآن، المكي والمدني... فإنّ بحث الإعجاز القرآني إنّما هو أمر خارج عن النصّ القرآني وأنه كان دخيلاً على ثقافة المجتمع الإسلامي؛ وبعبارةٍ أخرى فإنّ بحوث إعجاز القرآن ليست هي تفسيراً ولا تدخل في صميم المواضيع القرآنية، وإنّما هي كانت نتيجة للمجادلات الكلامية في أوساط المتكلّمين الإسلاميين مع بعضهم البعض أو مع سائر الأديان كاليهود والمسيح^(٢)؛ وهنا نشير إلى عاملين بارزين ساهما في نشوء بحث إعجاز القرآن. علماً بأنّه لا يمكننا إنكار الكثير من العناصر الأخرى التي ربّما تكون مؤثّرة إلى جانب هذه العوامل الرئيسية في تطوّر فكرة الإعجاز وتبلورها.

(١) إنّ ما قام به السيّد حسين المدرّسي الطباطبائي من البحث والاستقراء في التراث الحديثي للشيعة لم يثمر عن أيّ نتيجة ولا رواية في تبين مفهوم الإعجاز أو في وجه إعجاز القرآن؛ فإنّ الفهرسة الموضوعية والأعلام في نهاية الكتاب عاريتان عن أيّ إشارة لمواضيع مثل: الصرفة، الإعجاز، المعجزة، ونظم القرآن. أنظر: (Modarressi. pp.434 - 444)

(٢) Martin. p.176

العامل الأوّل

الجدل الكلامي اليهودي - المسيحي - الإسلامي

إنّ أوّل المناظرات الكلامية لليهود والمسيحيين والمسلمين حدثت في القرن الأوّل الهجري، وتطوّر هذا الأمر تدريجياً وصار أكثر تكاملاً في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ومن ثمّ أخذ أبعاداً جديدة في القرون اللاحقة حتّى تبلورت فيه مسائل جديدة، حيث نرى في تلك القرون جدلاً بين المسلمين وأهل الكتاب في باب حقّانية الدين الإسلامي وأصالة دعوة الرسول الأعظم ﷺ. فمن الأمور الأساسية التي كانت تناقش في هذه المناظرات هي حقّانية رسالة الرسول الأعظم محمد ﷺ في قبال دين المسيحية وإبطال معتقد التثليث. فإنّ الشواهد من النصوص والروايات الإسلامية في مصنّفات المسلمين والرجوع إلى بعض فصول العهد القديم والعهد الجديد في مناظراتهم إنّما كانت بصدّد إثبات نبوّة الرسول الأعظم ﷺ أو إثبات أفضليّته وأفضلية دين الإسلام على النبي عيسى عليه السلام والمسيحية. وفي المقابل فإنّ النصوص المسيحية أيضاً كانت تردّ وتنكر هذا الأمر من خلال الرجوع إلى شواهد من نصّ القرآن أو من كتبهم السماوية في دعم مزاعمهم وادّعاءاتهم، ومثال ذلك ما قام به تيموثاوس الأوّل (Timothy1) في كتابه إلى المؤمنين في البصرة حيث استشهد بالآية (١٧١) من سورة النساء دليلاً على حقّانية التثليث^(١).

إنّ كتب علماء الإسلام الأوائل التي صنّفت للدفاع عن الإسلام ونبوّة

(١) Thomas, 1/527, cf. Ibid, p. 523.

الرسول الأعظم ﷺ؛ هي واحدة من أهمّ المواضع التي ظهرت فيها بوادر نظرية إعجاز القرآن، وقد جاءت تلکم المصنّفات في مواجهة الجدل الكلامي لليهود والمسيحيين، وإنّ عناوين هذه الآثار كثيرة ومتنوّعة وعديدة ولم يصل إلينا العديد منها سوى عناوينها، ولا يمكن تخمين عدد هذه المصنّفات بشكل دقيق، وقد كانت بعض هذه المناظرات تدور حول تفسير آيات من القرآن الكريم جاء فيها تأييد أو نقد لمعتقدات اليهود والمسيحيين، وفي البعض الآخر منها نرى فيها علماء اليهود والمسيحيين والمسلمين قد ناقشوا أبحاثاً مختلفة سعى كلٌّ منهم فيها إلى بيان أفضلية دينه ونبيّه على خصمه أو سعوا أن يردّوا على القرآن في تأليفاتهم^(١).

وقد تطرقت كاميليا أدنغ (Camilla Adang) إلى موضوع الإسلام واليهودية في كتابها تحت عنوان (مدوّنات المسلمين في باب اليهودية والعهد القديم: من ابن ربن إلى ابن حزم)^(٢) وقد سجّل كلٌّ من سمير خليل سمير، مارك سوانسون وديفيد توماس في كتب متعدّدة لهم المناظرات والمناقشات التي كانت دائرة بين المسلمين والمسيحيين آنذاك، حتّى أنّنا نرى في أقدم النماذج من هذه المدوّنات أنّ موضوع مجيء الرسول ﷺ بمعجزة لإثبات نبوّته كان موضع جدل بين

(١) مثل كتاب تفنيد القرآن لأبي نوح الأنباري وهو من النسطوريين المعاصرين لتيموثاوس الأول في القرن الثاني الهجري؛ انظر: Griffith, 1999,2, p. 205.

(٢) Camilla Adang, **Muslim writers on Judaism and the Hebrew Bible: from Ibn Rabban to Ibn Hazm**. Leiden: Brill. 1996.

المسلمين والمسيحيين^(١)، ومثال ذلك: إنَّ تيموثاوس الأول (Timothy1) في حوارهِ مع الخليفة العبّاسي المهدي بالله (مدّة خلافته: ١٥٨ - ١٦٩ هـ) قال: «إنَّ كلمات الله في التوراة وكتب الأنبياء والإنجيل ومدوّنات الرسل كانت تعضدها المعجزات ولكن ليس هناك أيّ معجزةٍ أو دليل مؤيّد لكتابكم المقدّس»^(٢).

ولذلك يجب علينا أن ننظر إلى الوجه الآخر لهذا الموضوع والذي جاء في مصنّفات علماء الإسلام تحت عنوان (دلائل النبوّة وتثبيت دلائل النبوّة أو إثبات دلائل النبوّة)، علماً بأنّ أدبيّات دلائل النبوّة تفتقر إلى تحقيق واسع لا يسعه هذا المجال. فمنذ القرون الإسلامية الأولى بادر بعض العلماء إلى تصنيف كتب تحت عناوين (دلائل النبوّة، إعلام النبوّة، أمارات النبوّة، إثبات النبوّة، إثبات نبوّة النبي، تثبيت نبوّة النبي، وتثبيت دلائل النبوّة)، وإنّ أهمّ ما كان يرمي إليه علماء الإسلام آنذاك هو الجواب على الهجمات العلمية والثقافية للأديان الأخرى وخاصّة المسيحية^(٣)، فإنّ هذه الأدبيّات التخاصمية والجدل القائم آنذاك كان أكثر شيوعاً

(١) إنّ مؤلّفات ديفيد توماس في هذا المجال في غاية الكثرة، وإنّ كتابه الأنف الذكر قد احتوى على معلومات انفراد بها من بين سائر مؤلّقاته، بحيث اشتمل على جميع المصنّفات والحوارات الإسلامية المسيحية منذ مجيء الإسلام وحتىّ نهاية القرون الوسطى، وقد طُبِع منه إلى الآن إثنا عشر مجلداً لأوّل مرّة من قبل دار بريل للنشر، وقد دوّنت فيه مثل هذه الحوارات إلى آخر سنة (١٨٠٠) ميلادية.

Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History,
Volume 1 (600-900) edited by David Thomas & Barbara Roggema,
Leiden: Brill. 12 vols, 2009-2019.

(٢) Griffith, 1999,1, p.392

(٣) للحصول على فهرسة لأهمّ المطالب والمصادر انظر: Adang, p.141ff.

في بعض البلدان الإسلامية وخاصة العراق وبلاد الشام ومصر، وقد تحوّلت وتطوّرت في غضون القرن الثاني حتّى القرن السادس مضطّرة باضطراب وتحول الأوضاع الثقافية والاجتماعية والتغيرات الطارئة آنذاك.

وقد جمع محمّد يسري سلامة في مقدّمة تحقيقه على كتاب **ثبوت النبوات** لابن تيمية^(١) فهرسةً حوت على أكثر من خمسين عنواناً من كتب علماء الإسلام في هذا المجال^(٢)، فإنّ ظهور بعض الكتب في خصوص الإعجاز تحت عنوان (معجزات النبي، ونظم القرآن) في القرن الثالث وظهور كتب (إعجاز القرآن) في القرن الرابع وما بعده هي امتداد لذلك النتاج العلمي. ونرى في مصنّفات (دلائل النبوة) أمرين مرتبطين بإعجاز القرآن ورسالة النبي ﷺ: الأوّل: مصنّفات في الردّ على بعض مدّعي النبوة مثل مسيلمة وكذلك على مدّعي تقليد القرآن مثل ابن المقفّع. والأمر الثاني: تأليف الردود على منكري نبوة وفضيلة الرسول الأكرم ﷺ سواء بين المسيحيين أو بين المسلمين مثل أبي زكريّا الرازي عندما ردّ عليه أبو حاتم الرازي في كتابه **أعلام النبوة**^(٣).

(١) ثبوت النبوات: ٧٢ - ٨١.

(٢) للحصول على توضيح لبعض المحتويات انظر: منوچهر پزشك، مقالة (أعلام النبوة) في دائرة المعارف الإسلامية الكبرى؛ أيضاً: Thomas, 2/22ff.

(٣) أعلام النبوة، تصنيف أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢ هـ)، وهو من قبيل بقيّة المصنّفات التي صنّفت في إثبات النبوة وفي ردّ آراء محمّد أبي زكريّا الرازي (٢٥١ - ٣١٣ هـ)، وقد تطرّق في كتابه - الذي جاء تحت عنوان (في شأن القرآن: ١٧٣ - ٢٠٥) - إلى الردّ على أبي زكريّا في باب عدم إعجاز القرآن.

مباحث إعجاز القرآن في المناظرات

الإسلامية - المسيحية القديمة

ففي المناقشات المسيحية الإسلامية الأولى والمدونة في بعض المصنّفات من قبيل مصنّفات يوحنا الدمشقي (٥٧ - ١٣٢ هـ)^(١) وحيب بن خدمة (أبو رائطة التكريتي ت بعد ٢١٢ هـ)^(٢) قلما نوقش بحث في باب إعجاز القرآن أو حتّى إعجاز نفس النصّ القرآني^(٣)، أمّا في المصنّفات التي جاءت بعد ذلك مثل مكاتبة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي مع عبد الله الكندي (أوائل القرن الثالث)، ومؤلفات عمّار البصري (حيّاً أوائل القرن الثالث)، ثيودور أبي قرّة (١٣٣ - ٢٠٨ ق) وأبي الحسن علي بن يحيى بن المنجم (ت ٢٧٥ هـ) تحت عنوان (البرهان)، وكذلك آثار قسطا بن لوقا (حدود ٢١٥ - ٣٠٨ ق) وحنين بن إسحاق (١٩٤ - ٢٦٠ هـ)^(٤)

(١) كان في البلاط الأموي ردحاً من الزمن، وقد ذكر في رسالته التي جاءت في الردّ على الهرطقة أموراً في باب القرآن والرسول الأعظم ﷺ، ولكنه لم يذكر شيئاً في ردّ أو قبول إعجاز القرآن.

(٢) راجع الكتاب أدناه حول شخصية أبي رائطة لساندرا كيتينج تحت عنوان: (الدفاع عن أهل الحقيقة في القرون الإسلامية الأولى، في باب الدفاع عن أبي رائطة المسيحي).

Sandra Toenies Keating. **Defending the "people of truth" in the early Islamic period: the Christian apologies of Abu Ra'itah**, Leiden: Brill. 2007.

(٣) Griffith. 1999,2, p.205 .

(٤) إنّ هؤلاء الأشخاص الثلاثة كانت لهم محاججات ومناقشات علمية عديدة. انظر في هذا المجال كتابي سيدني غريفيث وسمير خليل سمير؛ فإنّ الكتاب الثاني قد احتوى على نصّ

نرى فيها معالم واضحة عن موضوع إعجاز القرآن بمختلف جوانبه. حتّى أنّ بعض مؤلّفي المصنّفات مثل أبي عبد الله محمد بن زيد (أو يزيد) الواسطي (ت ٣٠٦ هـ) ممّن تصدّوا للردّ على متكلّمي المسيحية في عصرهم^(١)، قد ألفوا رسائل مستقلة في موضوع إعجاز القرآن تحت عنوان: (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه)^(٢). إنّ أهمّ أبحاث المصنّفات التي تناولت النقاشات التي كانت دائرة آنذاك بين المسلمين والمسيحيين هي عبارة عن: كون النبي ﷺ أمياً، الإتيان بالقرآن معجزة، معجزات الرسول الأعظم ﷺ، بشارة الكتب السماوية السالفة

رسائل هؤلاء الأشخاص الثلاثة وعلى ترجمتها بالفرنسية.

Sydney H. Griffith, **The Church in the Shadow of the Mosque: Christians and Muslims in the World of Islam, Jews, Christians, and Muslims From the Ancient to the Modern World** (Princeton University Press, 2008); Samir Khalil Samir, Une correspondance islamo-chretienne entre Ibn al-Munaggim. Hunaym Ibn Ishaq et Qusta Ibn Luqa, French translation by Paul Nwyia, **Patrologia Orientalis** 40iv/no. 185 (1981)

(١) Thomas, 2/145 - 146 .

(٢) إنّ بعض متكلّمي المعتزلة أيضاً قد صنّفوا في كلا المجالين فيما بعد؛ فإنّ القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) مصنّف كتاب (تثبيت دلائل النبوة) قد خصّص جزءاً من كتابه (المغني في أبواب التوحيد والعدل) بإعجاز القرآن، والأنموذج الآخر هو أبو الحسن الرّماني (ت ٣٨٤ هـ) فإنّه بالإضافة إلى تأليفه رسالة مستقلة تحت عنوان (النكت في إعجاز القرآن) فقد ألف أيضاً كتاباً في الردّ على المسيحية تحت عنوان (نقض التثليث على يحيى بن عدي). انظر: فهرست ابن النديم: ٤١، ٢٢٠؛ (Thomas, 2/520).

برسالة الرسول الأعظم ﷺ^(١). وفي الكثير من هذه المؤلفات لا يمكن التفكيك بشكل واضح بين البحوث الاحتجاجية المهمة التي تناولتها تلك المؤلفات، ولكن يمكن أن يقال: إنَّ واحداً من أهمِّ التساؤلات في تلك المصنَّفات هو عبارة عن السؤال التالي: ما هي العناصر أو المقومات الأصلية للدليل المعتبر لتصديق دعوى النبوة لكلِّ نبيٍّ^(٢)؟ فقد ذكر اليهود والمسيحيون - تناسباً مع البحث عن هذا الأمر - المعجزات المشهورة لموسى وعيسى ﷺ التي جاءت بها كتبهم بالتفصيل، وكذلك المسلمون أيضاً فإنَّهم مضافاً إلى ما ذكروه من المعجزات المذكورة في تاريخ الرسول الأعظم ﷺ فقد تناولوا الإعجاز المكنون في نفس النصِّ القرآني. وفي هذا المجال ومن خلال مرورنا السريع على عدد من أهمِّ المؤلفات الإسلامية والمسيحية في القرنين الثاني والثالث الهجريين فإننا نسعى لتبيين مدى اهتمام مؤلَّفي هذه المصنَّفات بموضوع إعجاز القرآن.

١ - ابن رِبِّن الطبري أو ابن رِبِّن: أبو الحسن علي بن سهل: هو عالم، وطبيب إيراني متضلع بالأدوية والصيدلة في القرن الثالث الهجري، ولد في مرو، وهو من أهالي أمْل بطبرستان، وقد اختلف في تاريخ وفاته، ولكن من المسلّم به أنه كان حياً إلى أواسط القرن الثالث الهجري، أغلب تصانيفه في علم الطبِّ والأدوية، أشهر مصنَّفاتهِ في باب الأديان هو كتاب **الدين والدولة** في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ الذي ألفه في باب أفضلية دين الإسلام على سائر الأديان، وربّما

(١) الفكر الإسلامي في الردِّ على النصارى: ٤٠٧.

(٢) Martin, P.81

يكون أقدم تصنيف في موضوع دلائل النبوة^(١). فإنه يصرّح في هذا الكتاب بأنه كان مسيحياً في بادئ الأمر ثم اعتنق الإسلام بمشورة من المتوكّل بعد ذهابه إلى البلاط العباسي^(٢)، وله مصنّف آخر أيضاً تحت عنوان **الردّ على النصارى**^(٣)، وقد أتى في كتابه هذا بعدة أدلة على إثبات نبوة الرسول الأعظم ﷺ، وفي الفصل السادس أخذ بالمقارنة بين القرآن من جهة والتوراة والإنجيل من جهة أخرى، ومن ثم ذكر مؤيّدات على أصالة وعلوّ شأن النصّ القرآني ومتازته، والجدير بالذكر أنه على الرغم من تناوله موضوع أمية الرسول الأعظم ﷺ وإشارته إلى بعض آيات التحدّي مثل البقرة (٢٣) وهود (١٣)^(٤)، إلا أنه لم يتكلّم أبداً عن إعجاز أو نظم القرآن في كتابه هذا^(٥).

٢ - عبد المسيح الكندي: إنّ المراسلة التي دارت بين عبد المسيح بن إسحاق الكندي وعبد الله بن إسماعيل الهاشمي في أواسط القرن الثالث الهجري كان فيها بعض الإشارات إلى موضوع إعجاز القرآن ودلالته على نبوة الرسول

(١) مينگانا (Alphonse Mingana) هو الذي ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الانكليزية طبقاً لنسخة مكتبة جان رايلند في مانشستر، ثمّ طبعه سنة (١٩٢٣م)، وقام بطبع نص الكتاب فيما بعد عادل نويهض في سنة (١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م) في بيروت دار الآفاق الجديدة. فيما يتعلّق بخصائص هذا الكتاب والبحث عن أصالته أنظر:

Martin, p.177; Thomas, 2011, p.207; Thomas, 1/672-674; Adang, p.28-30.

(٢) ابن ربّئ الطبري: ٢١٠.

(٣) Thomas, 1/671.

(٤) ابن ربّئ الطبري: ١٠٤.

(٥) انظر: نفس المصدر: ٩٨ - ١٠٦.

الأعظم ﷺ، وقد تردّد بعض المحقّقين الغربيين في كون هذه الرسالة ترجع إلى أواخر القرن الثاني وعهد المأمون العباسي^(١)، ولكن من خلال جوانب مختلفة نرى أنّ الأجواء الجدلية للقرن الثالث الهجري متجلية فيها، وقد أشار الهاشمي في دعوته لزميله المسيحي إلى الإسلام إلى العديد من الآيات القرآنية الدالة على حقانية الدين الإسلامي وتبيين حقيقة المسيح، ولما جاءت إشارة في كلامه إلى موضوع الإعجاز القرآني، ولكن في الجواب المطوّل للكندي نعث على مطالب عديدة في باب المعجزات المنسوبة للرسول الأعظم ﷺ ومقارنتها مع معجزات المسيح ﷺ، وكذلك التحدي في آيات القرآن، والإخبار عن قصص الملل الغابرة؛ وفي موضع آخر من مراسلته^(٢) لا يعدّ الاستناد إلى الآية (٢٣) من سورة البقرة ونظائرها كافية لإثبات إعجاز القرآن، وهذه الأدلة لا يعدّها مضاهية لمعاجز النبي موسى ﷺ والنبي عيسى ﷺ.

٣ - عمّار البصري (كان حيّاً في النصف الأوّل من القرن الثالث): وهو من المسيحيين النسطوريين حيث يعدّ مع ثيودور أبي قرّة وأبي رائطة التكريتي من

(١) انظر في هذا الشأن: مقالة جورج تارتار التي جاءت تحت عنوان (وثيقة وأصالة الهاشمي والكندي في عهد المأمون العباسي):

Georges Tartar, "L'authenticite des epitres d'al-Hâsimi et d'al-Kindi sous le calife al-Ma'mûn (813-834)." **Actes du premier Congrès d'Etudes Arabes Chretiennes**, edited by Khalil Samir, Rome: Pontificum Institutum Studiorum Orientalium / Pontificio Istituto Orientale, 1982, pp. 207-221.

(٢) رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح الكندي: ٧٥ - ٧٦.

أوائل من صنّفوا مصنّفاتهم الحجاجية في باب الدفاع عن المسيحية باللغة العربية. هذا وإنّ كتاب **المسائل والأجوبة** وكتاب **البرهان** هما من أهمّ مصنّفاته باللغة العربية، وإنّ نسختيهما الخطيّة موجودتان في المكتبة البريطانية (ش ١٨٩٩٨، ش: ٨٠١ من المخطوطات العربية)، وقد طبع ميشل الحايك كلا هذين الكتابين مع ترجمتهما بالفرنسية^(١)، وقد نقل سيدني غريفيث^(٢) من هذا الكتاب النصّ التالي: «إنّ عمّار البصري سعى إلى تخطئة معتقد التحدّي وعدم إمكانية تقليد القرآن اللذان يعدّان شاهداً على إعجاز القرآن، وقد ردّ بأسلوب حجاجي على معتقد إعجاز القرآن من خلال نفس آيات القرآن حيث استفاد من الآية (٥٩) من سورة الإسراء والآية (١٠٩) من سورة الأنعام حيث أشكل بهما على المسلمين». وقد أشار ابن النديم في **الفهرست**^(٣) أنّ أبا الهذيل العلاف ألف رسالةً في الردّ عليه تحت عنوان: **الردّ على عمّار النّصراني في الردّ على النّصاري**.

٤ - ابن المنجّم، أبو الحسن علي بن يحيى: ولد في بغداد وتوفّي في سامراء

(١) Ammar al-Basri, **Apologie et Controverses [Kitab al-Burhan wa Kitab al-Masa'il wal Ajwiba]**, edited and translated by Michel Hayek. Beirut. 1977.

كذلك انظر: سليم دكّاش اليسوعي (أبو رائطة التكريتي) (القرن التاسع الميلادي) ورسالته في الثالوث المقدّس، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٦م؛ وانظر كتاب ديفيد توماس تحت عنوان (المسيحية في قلب الحكومة الإسلامية):

David Thomas, **Christians at the heart of Islamic rule: church life and scholarship in `Abbasid Iraq**, Leiden: Brill. 2003.

(٢) Griffith, 2, pp.211-212 .

(٣) الفهرست لابن النديم: ٢٠٤.

سنة (٢٧٥ هجرية)، وهو من عائلة إيرانية، وقد برع في علم النجوم، كان زرادشتياً واعتنق الإسلام، وقد اشتغل بالرصد في بلاط المأمون العباسي، وكان نديماً للخلفاء العباسيين مثل المتوكل، المستنصر، المعتصم، المعتز، المهدي، والمعتمد^(١)، وهو مؤلف كتاب **البرهان**؛ وهذا الكتاب تضمّن دلائل النبوة، وقد ألف هذا الكتاب مخاطباً به قسطا بن لوقا وحنين بن إسحاق المسيحيين وقد دعاهما إلى اعتناق الإسلام. وفي هذا الكتاب - وكذلك في جواباته لقسطا وحنين - أولى اهتماماً خاصاً بموضوع إعجاز القرآن. إن مصنف أبي الحسن علي بن يحيى ابن المنجم ربما يكون أقدم كتاب تتبّع فيه المصنّف الدليل القاطع على نبوة الرسول الأعظم ﷺ، وأكد فيه على موضوع إعجاز القرآن. وقد اعتمد في دليله هذا على أمر وهو أن النبي محمد ﷺ لا بدّ وأن يكون له دليل قاطع وإيماناً على أن النصّ القرآني لا بديل له، فإن النبي ﷺ لا يمكنه تحدي مخالفه على أن يأتوا بمثل هذا القرآن إذا لم يكن له علم وإيمان قاطع على أنه لا يمكن لأحد أن يتحدّى القرآن ويأتي بمثله، إذ أنه من السفاهة والعبث أن يعمل الإنسان عملاً ولم يكن لديه إيمان بوجود دليل قاطع عليه وإنّ تاريخ حياة الرسول الأعظم ﷺ يبيّن على أنه ﷺ كان إنساناً عاقلاً ومنزهاً عن الخطأ^(٢).

٥ - الواسطي: أبو عبد الله بن زيد (أو يزيد)، سنة ميلاده غير معلومة ولكنه من اليقين أنه ولد في واسط، وتوفي سنة (٣٠٦ هجرية)، ولا علم لنا عن حياته

(١) Thomas, 1/762 .

(٢) للحصول على تفصيل أكثر انظر: Thomas . 1/763-767

سوى ما ذكره لنا ابن النديم من معلومات^(١)؛ يُعدّ من تلامذة أبي علي الجبائي حيث توفي بعده بأربع سنوات، وذكر ابن النديم أنّ من أهمّ مصنّفاته كتابين هما: **الإمامة وإعجاز القرآن في نظمه وتأليفه**، وقد أضاف القاضي عبد الجبار^(٢) أنّه كانت له سمة (الكاتب)، وقد ألف كتاباً في موضوع بشارة التوراة بنبوة النبي محمّد^(٣) ﷺ، إلا أنّ القاضي عبد الجبار لم يذكر اسم الكتاب بصورة دقيقة إلا أنّ اهتمامه بهذا الكتاب إلى جانب كتب ابن قتيبة وأبي بكر الزهري الكاتب وأحمد ابن يحيى المنجم يدلّ على أهميّة هذا الكتاب خاصّة مع مضي قرابة مائة عام على زمن عبد الجبار^(٤).

٦ - قسطا بن لوقا البعلبكي (Costa ben Luca) (حدود: ٢١٥ - ٣٠٨ هـ)

ولد في بعلبك وتوفي في أرمينيا، كان فيزيائياً، مترجماً، وعالمًا مسيحيًا ينتمي إلى الأرثوذكس الملكيين، قضى أكثر عمره في بغداد، وقد ترجم إلى العربية كثيراً من الكتب في باب الفلسفة، النجوم، المنطق وأمثالها. وقد أثنى عليه ابن النديم في عدّة مواضع من **فهرسته**^(٥) ذاكراً منزلته العلمية مفضلاً إيّاه على حنين بن إسحاق. إنّ جوابه على رسالة ابن المنجم الذي عرف بعنوان **(الجواب أو البرهان)**^(٦) يعدّ

(١) الفهرست لابن النديم: ٢٢٠.

(٢) تثبيت دلائل النبوة: ٢ / ٣٥٢.

(٣) الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى: ١٦٦.

(٤) انظر: Thomas 1/145-246.

(٥) منها في صفحة ٣٠٥، ٣٥٣.

(٦) للحصول على النسخ الخطية لكتاب قسطا بن لوقا وعلى طباعة النصّ العربي له مع

تراجمه المختلفة: البولندية والإيطالية والفرنسية انظر: Thomas 1/159.

من المؤلفات الحجاجية المسيحية التي يمكن العثور فيها على مطالب كثيرة في باب إعجاز القرآن وأدلة نفي أو أثبات نبوة الرسول الأعظم ﷺ، مثلاً فإنه يسعى إلى إثبات أن معجزة القرآن لا يمكنها أن تكون في عداد المعاجز المعروفة لموسى عليه السلام وعيسى عليه السلام^(١). إن هذا الكتاب في واقع الأمر ردُّ على كل كلمة قال بها ابن المنجم في رسالته، علماً بأنه من خلال بحثه عن أدلة نبوة الرسول الأعظم ﷺ ومناقشة أدلة ابن المنجم قد نحصل على مطالب عديدة في باب إعجاز القرآن. وقد تطرَّق مروان راشد إلى مثل هذه المطالب في مقالة تحت عنوان: (شواهد جديدة في نقد إعجاز القرآن في نهاية القرن الثالث: قسطا بن لوقا في قبال ابن المنجم)^(٢).

٧- ثيودور أبو قرّة، أو ثيودوروس، أسقف ملكي المذهب، يحتمل أنه ولد في أديسا (رها) وتوفي في حرّان، ولم يُعلم تاريخ ميلاده ووفاته دقيقاً، ولكن نقل عنه أنه شارك في مناظرة على عهد المأمون (خلافته: ١٩٨ - ٢١٨هـ)، يعدُّ أشهر مؤلفٍ باللغة العربية في الأدبيات الحجاجية الدينية، ومن بين الأقوال الكثيرة التي كان يهاجم بها ويتحامل بها على الدين الإسلامي كان يدّعي أن الرسول الأعظم لا

(١) Thomas 1 / 151 - 152 .

(٢) Marwan Rashed. "New evidence on the critique of the Quranic miracle at the end of the third/ninth century: Qusta Ibn Luqa vs. the Banu al-Munajjim" **In the age of al-Farabi: Arabic philosophy in the fourth/tenth century**, edited by peter Adamson, London: Warburg Institute/Turin: Nino Aragno Editore (Warburg Institute Colloquia no. 12). 2008. pp.277-294.

معجزة له^(١)، هذا وإن مصنفات أبي قرّة واحتجاجاته هي أكثر من مصنفات سائر من أُلّف في الدفاع عن المسيحية، وقد سجّل له مارتين^(٢) أكثر من ثلاثين رسالة وكتاب باللّغات العربية والسريانية واليونانية مع ذكره للنسخ الموجودة في المكتبات العالمية ومواصفاتها والطبعات المحتملة لها^(٣).

إنّ النماذج المذكورة للمناظرات الأنفة الذكر ما هي إلاّ قطرة من بحر، فإنّ الاحتجاجات والمجادلات الإسلامية بقيت مستمرة بين المسلمين من جهة وبين المسيحيين واليهود من جهة أخرى، فإذا نظرنا في القرن الرابع الهجري وما بعده فإنّ المدونات الحجاجية للمسلمين على اليهود والمسيحيين وبالعكس جاءت أكثر تفصيلاً ووضوحاً في باب موضوع إعجاز القرآن. وهناك شخصان متأخران عن قسطنطين لوقا وثيودور أبي قرّة وهما عبارة عن: كريغور ماغيستورس (٣٨٠ -

(١) انظر: مقالة سيدني غريفيث تحت عنوان (القرآن في المتون العربية المسيحية: تحوّل وتطور احتجاجات [ثيودور] أبو قرّة الجدلية في مجلس المأمون):

Sidney Griffith, "The Quran in Arab Christian texts: the development of an apologetical argument: Abu Qurrah in the Maglis of Al-Ma'mun" **Parole de l'Orient: revue semestrielle des etudes syriaques at arabes chretiennes: recherches orientales: revue detudes et de recherches sur les eglises de Langue syriaque** 24 (1999), pp. 203-233.

(٢) Martin. 1/448&491 .

(٣) لتحصل على بعض أدلته على ردّ معجزات الرسول الأعظم ﷺ ومقارنتها مع سائر معجزات الأنبياء، انظر: Martin, 1/474 .

٥٠هـ) في حوارهِ ومناظرته مع أبي النصر المنازي (ت ٤٣٧هـ)^(١)؛ ومجالس البحث بين أسقف إيليا بارشينايا (٩٧٥-١٠٤٦م) وأبي القاسم الحسين بن علي المعروف بالوزير المغربي (٣٧٠-٤١٨هـ) في مدينة ميفارقين^(٢). حتّى أن كامبلا أدنغ سعت في كتابها^(٣) لتبيّن بأنّ شخصاً مثل الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في بحوثه في موضوع إعجاز القرآن والدفاع عن حقّانية نبوّة الرسول الأعظم في كتاب **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل** كان على علم كامل بانتقادات اليهود مثل قرقساني وسعديا بن يوسف الفيومي المعروف بـ: سعديا جاؤون وقد تعرّض لهما بالنقد والردّ.

العامل الثاني

المساعي الأدبية والكلامية الأولى للمعتزلة وإعجاز القرآن

بعد أن انتهينا من موضوع المحاججات الإسلامية - المسيحية في بلاد الشام والعراق وكونها العامل الأوّل في تبلور موضوع إعجاز القرآن، فإنّ العامل الثاني الذي ساهم في تبلور هذا الموضوع هو كثرة التشكيك والهواجس الكلامية لمتكلمي المعتزلة في القرن الثالث. فمن الواضح أنّ المعتزلة - وبشكل كليّ مخالفو أهل الحديث - كانوا من الجماعات الإسلامية الأولى التي طرحت التساؤلات الكلامية في باب الذات والماهية ومباني فهم القرآن، وإنّ التساؤل عن حدوث أو قدم القرآن، والتشكيك في حجّية خبر الواحد، وجواز الفهم والتفسير

(١) انظر: Thomas, 2/707-713.

(٢) انظر: Thomas, 2/730-735.

(٣) انظر: Adang, pp.179-184.

المجازي لبعض آيات القرآن، تعدُّ من جملة بعض اعتقاداتهم بالنسبة للقرآن. فإنَّ موضوع نظم القرآن يعدُّ من قبيل هذه المسائل أيضاً، حيث إنَّ تشكيك البعض فيما يخص هذا الموضوع من جانب وشبهات المخالفين والملحدين من جانب آخر كانت جميعها تلعب دوراً مهماً في طرح هذه المواضيع ومناقشتها.

إنَّ أهمَّ التساؤلات في هذا المجال والتي شغلت أذهان متكلمي المعتزلة في القرنين الثاني والثالث هي كالتالي: ما هي الخصائص التي ميّزت كلام الله عن كلام الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والكُهان^(١)؟ ومثل هذا السؤال لا يمكن تصوُّر أنه قد ظهر تلقائياً من غير تمهيد له من قبل، أو أنَّ أحد المتكلمين ألقى مثل هذا السؤال ارتجالاً. لا يخفى أنَّ مثل هذا الأمر لا بد له أن يكون نتاجاً لما غرسته الأفكار والآراء السالفة من بذور في الأجواء العلمية في العقود السابقة؛ على سبيل المثال ذُكر أنَّ عيسى بن صبيح (ت ٢٢٦ هـ) المعروف بأبي موسى المردار وهو من تلامذة بشر بن المعتمر والذي كان كثيراً ما يدافع عن نظرية خلق القرآن، فإنه كان يعتقد أنَّ الناس بإمكانهم أن يقلدوا القرآن ويأتوا بمثله من حيث الفصاحة والنظم والبلاغة^(٢). كذلك أبو الحسن الأشعري يحكي عن بعض المعتزلة مثل هشام بن عمرو الفوطي (ت قبل ٢١٨ هـ) وتلميذه عبّاد بن سليمان الصيمري (ت حدود ٢٥٠ هـ) إنكارهم إعجاز القرآن ودلالته على نبوة الرسول الأعظم ﷺ^(٣).

(١) الفكر الإسلامي في الردِّ على النصارى: ٤٧٨؛ قارن: Wansbrough, p.79.

(٢) الملل والنحل ٨٢/١ - ٨٣؛ الأنساب ١٨٧/١٢؛ وللحصول على نماذج أخرى انظر: تاريخ مدينة دمشق ٢٣/٢٧٩ - ٢٨٠. كذلك مقالات الإسلاميين: ٢٢٥.

(٣) الحكايات في مخالفات المعتزلة من العدلية: ٦٩؛ قارن: Van Ess, Vol/4 p.7,41,609.

وحتى القاضي عبد الجبار^(١) يتهم جماعة مثل أبي الحفص الحداد، أبي عيسى الوراق، ابن الراوندي، الحصري، محمد بن زكريا الرازي (ت ٣٢٠ هـ) ويعقوب ابن إسحاق الكندي (الفيلسوف المتوفى بعد سنة ٢٥٧ هـ) بإنكار النبوة.

إن الرعيل الأول من المجيبين على السؤال الأنف الذكر وإن كانوا ينتسبون إلى المعتزلة بأسرهم إلا إنهم اختلفوا في نمط الإجابة عن هذا السؤال فيما بينهم؛ فالرهب الأول - أي: معتزلة البصرة والشيعة الزيدية التابعون لهم^(٢) - كانوا يعتقدون أن القرآن كسائر معجزات الأنبياء - موسى وعيسى - فهو في حد ذاته معجزة وآية نبوة الرسول الأعظم ﷺ، ولذلك فإن الإعجاز مكنون في ذات البيان القرآني وبعبارة أدق: إن الإعجاز مكنون في النظم القرآني^(٣). والرهب الثاني والذي يمكن أن نسميهم معتزلة بغداد الأوائل، فإنهم لم يصرّوا على معجزة نظم ومعجزة تأليف القرآن؛ فإنهم يعتقدون كون القرآن معجزاً إنما هو بسبب ما أوجده الباري عز وجل من مانع حيث اشتهر هذا الأمر اصطلاحاً بنظرية (الصرفة). إن من أهم الشخصيات من بين الزيدية الأوائل هو الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ت ٢٤٦ هـ)، حيث كان على تواصل علمي مع المعتزلة ومع المسيحيين^(٤) وهو من أقدم

(١) تثبيت دلائل النبوة ٢ / ١٣٧٤.

(٢) إن أهم كتاب بحث في تأثير المعتزلة الأوائل على الزيدية هو كتاب ويلفرد مادلونج تحت عنوان (الإمام القاسم بن إبراهيم والتعاليم الكلامية للزيدية):

Wilferd Madelung, **Der Imam al-Qasim Ibn Ibrahim und die Glaubenslehre der Zaiditen**, Berlin; Walter de Gruyter 1965.

(٣) Martin, p.176.181 .

(٤) للتعريف بكتابه المعنون بن الرد على النصارى انظر: Thomas, 1/542-543.

العلماء ممّن كان له اطلاع وافر بالعهدين، كما أنّه كانت له منهنّما نقولات كثيرةٌ في مصنّفاته، وذلك لإثبات نبوّ الرسول الأعظم ﷺ، ولردّ على المعتقدات الدينية المسيحية^(١)، ومن جانب آخر فإنّه كان مسلماً متورّعاً راسخ العقيدة وعقلانياً، وإنّ دفاعه عن معتقد إعجاز القرآن في مصنّفاته واضحٌ جداً^(٢).

إنّ أوّل من نسبت إليه نظرية (الصرفة) بشكل واضح هو إبراهيم بن سيّار المعروف بنظام (ت ٢٣١ هـ)^{(٣)(٤)}، بعد ذلك ظهر لها مدافعون من بين بعض

وقد تمّ تصحيح هذا الكتاب وطباعته تحت عنوان: (القاسم بن إبراهيم، الردّ على النصارى)، تحقيق: إمام حنفي عبد الله، القاهرة: دار الآفاق، ٢٠٠٠ م.
(١) للحصول على بعض النماذج انظر: ويلفرد مادلونج مقالة مستقلة لدراسة القاسم تحت عنوان: (القاسم بن إبراهيم والعقيدة المسيحية):

Wilferd Madelung "Al-Qasim Ibn Ibrahim and Christian theology"
ARAM 3 (1991) pp. 35 - 44.

(٢) Madelung, 1965. pp.124-125

وكأنموذج انظر: القاسم بن إبراهيم في كتابه (مديح القرآن الكبير) في مجموع الكتب والرسائل ٢٣/٢ - ٢٤، وللحصول على نماذج متأخرة من أدبيات الزيدية في باب إعجاز القرآن في أواخر القرن الرابع الهجري بقلم المؤيد بالله (ت ٤١١ هـ) في مصنّف تحت عنوان (كتاب إثبات نبوّ النبي) انظر: Schmitdke 2012, p.221. وقد تمّ طباعة ونشر مجموعة آثاره الكاملة: مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي، تحقيق: عبد الكريم أحمد جدبان، جزءان، صنعاء: دار الحكمة اليمنية، ٢٠٠١ م.

(٣) مقالات الإسلاميين: ٢٢٤؛ الذخيرة: ٣٧٨.

إلا أنّ عبد الرحمن بن معاضة الشهري يقول في كتابه: القول بالصرفة في إعجاز القرآن (عرض ونقد): ١١٩: «إنّ نظرية (الصرفة) أكثر ما نسبت إلى واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ)» من دون الإشارة إلى أيّ مصدر يؤيد قوله هذا. (انظر النقد في: Martin, p.180).

(٤) عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) هو الوحيد الذي يقول أنّ النظام يعتقد: «أنّ نظم القرآن

الشيعة والمعتزلة وحتّى أهل السنّة^(١). إنّ فنّ غرونهام^(٢) سعى إلى إثبات أنّ معتقد (الصرفة) موجود في المسيحية بشكل أكثر وضوحاً ممّا عليه في الإسلام، ويستشهد لإثبات ذلك بنماذج من فكر لاكتانتوس (حدود ٢٣٠ - ٢٤٠ م) وهو من آباء الكنيسة^(٣). ومن جانب آخر فإنّ محمّد أبا زهرة^(٤) عثر على شاهد في مصنّفات أبي ريحان البيروني - تحقيق ما للهند - جعله يحتمل أنّ جذور هذا المعتقد يرجع إلى اعتقاد الهندوس بعدم إمكان تقليد كتابهم الديني^(٥).

وليس من البعيد أنّ بعض الأدباء والمتكلمين المعتزلة لا يرون فرقاً كبيراً بين القصائد العربية المعروفة وبين آيات القرآن من حيث النظم، وذلك بسبب تذوّقهم وتضلّعهم الخاصّ في الأدب العربي، حتّى أنّهم كانوا لا يعدّون الصياغة والنظم الظاهري للصور المدنية للقرآن أمراً صعباً، لذلك فإنّهم لم ينسبوا عجز

غير معجز، وإنّما وجه الدلالة منه على صدق النبي ﷺ ما فيه من الإخبار عن الغيوب. وزعم أنّ العباد قادرون على مثل القرآن وعلى ما هو أفصح منه» (الملل والنحل: ٩٨؛ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم: ١٢٨). وبعد قرنين نسب السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) هذا الكلام إلى جميع المعتزلة (جمال القراء وكمال الإقراء ٢١٦/١).

(١) الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) بعد أن أبدى توضيحاً في شأن اعتقاد أبي الحسن الأشعري بإعجاز القرآن قال: «ومن أصحابه من اعتقد أنّ الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي، وهو المنع من المعتاد» (الملل والنحل ١١٦/١ - ١١٧).

(٢) Von Grunebaum, E12, 3/1019.

(٣) عنوان (إعجاز) في دائرة المعارف الإسلامية، ليدن: دار نشر بريل، الطبعة الثانية ١٠١٩/٣.

(٤) المعجزة الكبرى: ٥٧ - ٥٨.

(٥) لأجل تحقيق ذلك، انظر: القول بالصرفة في إعجاز القرآن: ٣٥ - ٣٧.

البشر إلى نفس الجملات والنظم والبلاغة القرآنية، بل كانوا يرونه ناشئاً من قدرة الله في (صرف) همّة البشر وإرادته وعلمه عن القيام بذلك^(١).

إنّ جان ونزبرو على الرغم من أنّه يصرّح في كتابه **المطالعات القرآنية** - بعد تحليل كثير - إنّ فكرة إعجاز القرآن لا شبيه لها في الأدبيات الدينية اليهودية والربانية^(٢) إلاّ أنّه في نفس الوقت كان يصرّ على أنّ أصل التحدي في السياق القرآني لم يكن أمراً قد انفرد به القرآن، فإنّنا نجد له نموذجاً مشابهاً في الثقافة اليهودية^(٣)، حيث يستند في أدلّته على ذلك بآية: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾ (القصص: ٤٩) وهي في عداد الآيات المكيّة. من جانب آخر فإنّه يعتقد أنّ طرح فكرة (الصرفة) من جانب المعتزلة لها ارتباط وثيق مع مسألة خلق وحدوث القرآن التي هي من وجهة نظرهم أمراً محورياً وفي غاية الأهميّة، لذا فإنّه يرى أنّ النصّ القرآني بالنسبة للباري يعدّ أمراً عرضياً (وإنّ كلام الله من أفعال الله وليس من صفات ذاته)، فإنّ الألفاظ الموجودة في القرآن بحدّ

(١) إنّ أوّل من تُسببت إليه نظرية (الصرفة) النظم ومن جملة من نسبها إليه أبو الحسن الأشعري وعبد القاهر البغدادي وهناك إشارات بل تصريح في الكثير من المؤلّفات بذلك، ومن جميع المذاهب والفرق، مثل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، علي بن عيسى الرّماني (ت ٤١٨ هـ)، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، الشريف المرتضى (م ٤٣٦ هـ)، أبو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧ هـ)، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ).

للحصول على نماذج من هذه الإشارات انظر: الموضح عن وجه إعجاز القرآن: ٣٦ - ٣٧ و٤٦ - ٤٧؛ المنقذ من التقليد ٤٦٠/١ فما بعد.

(٢) Wansbrough, p.81 .

(٣) Ibid, p.79 .

ذاتها تحوي جوانب أدبية وبلاغية ليست فوق طاقة البشر^(١). وفي نهاية المطاف فإنّ ونزبرو يشير إلى أمرٍ مهمّ وهو أنّ آراء المعتزلة في هذا الباب غالباً ما رواها لنا مخالفوهم ممّن انتصر عليهم، لذا لا يمكن أن نحصل على صورة واضحة لأرائهم في باب (الصرفة) بشكل صحيح، فهل كانت هي نوعاً من ردّة الفعل من قبلهم على بعض الآراء العلمية الموجودة في المجتمع الإسلامي وغير الإسلامي آنذاك، أم أنّها كانت من ابتكارهم لحلّ مسألة أدلة نبوة الرسول الأعظم ﷺ وحقانية دين الإسلام^(٢).

إنّ ما غرسه المعتزلة من بذور التنظير في باب إعجاز القرآن سرعان ما أخرج شطأه في أواسط النصف الثاني من القرن الثالث؛ وإنّ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) يقول بأنه صنّف كتاباً بعنوان **نظم القرآن** حيث تناول فيه الردّ على آراء النظم، كما قد أجاب فيه على ادّعاءات سائر المخالفين للمعتزلة ومن جملتهم أهل الحديث والشيعية والحشوية^(٣). مع كلّ ذلك فإنّه في بعض مصنّفاته مثل (**الحيوان**، ٣٠٥/٤؛ ٤٤٥/٦) لم يتمكن من التخلّص كلياً من هيمنة نظرية (الصرفة)^(٤). وفي هذا البين جاءت الانتقادات الشديدة من قبل أبي الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق -

(١) قارن: مقالات الإسلاميين: ٢٢٥ - ٢٢٦.

(٢) Wansbrough, p.82.

(٣) رسائل الجاحظ الكلامية: ١٦٦. لم تصلنا من هذا الكتاب نسخة قط، والذي وصلنا منه إنّما هي فصول أعاد ترتيبها سعد عبد العظيم محمّد تحت عنوان (نظم القرآن) اقتبسها من سائر آثار الجاحظ ومن بعض النقول المتأخّرة.

(٤) لاحظ: قضية إعجاز القرآن عند الجاحظ: ٦٣٤ - ٦٣٧.

المعروف بابن الراوندي - التي أوردها على النظام حيث أجمت نار البحث بشكل أكثر، حيث كان ابن الراوندي يعدّ من المعتزلة في حينها إلا أنه ألف كتاباً فيما بعد في فضح المعتزلة بعد إعراضه عنهم وسمّاه **فضيحة المعتزلة**، حيث تناول في كتابه هذا انتقادات كثيرة على كلّ معتقدات المعتزلة^(١)، وبالرغم من أنّ أصل الكتاب لم يصل إلينا، إلا أنّ ردّ أبي الحسين عبد الرحيم بن محمّد بن عثمان الخياط المعتزلي في كتابه الذي هو بعنوان **الانتصار والردّ على ابن الراوندي الملحد** قد نقل لنا فصولاً كثيرة من كلام ابن الراوندي اللاذع، ولكن في فصل اعتقادات النظام القرآنية قد لخصّ ابن الراوندي الحديث في هذا الموضوع بشكل كبير، وفي جواب ابن الراوندي الذي انتقد فيه رأي النظام في خصوص نظرية (الصرفة) قد أكد على معتقدات النظام بالأخبار الغيبية القرآنية فقط^(٢).

هذا وإن سائر آثار ابن الراوندي مثل كتاب **التاج**، كتاب **الدامغ**، كتاب **الزمرد**، وكتاب **الفريد** كانت بأسرها - نوعاً ما - في ردّ القرآن، النبوة، إعجاز القرآن، معجزات الأنبياء وأمثالها؛ حيث أدّى ذلك إلى شحذ همم علماء الإسلام في القرن الثالث الهجري بالسعي الحثيث لتبيين الجوانب المختلفة لإعجاز القرآن^(٣).

(١) طبقات المعتزلة: ٩٢.

(٢) انظر: الانتصار والردّ على ابن الراوندي الملحد: ٢٧ - ٢٨.

(٣) للبحث الدقيق في مصنّفات ابن الراوندي المتعدّدة وتقرير محتواها انظر:

Van Ess, 4/295-349، ولمراجعة آراء سائر العلماء من بعده في شأنه انظر: تاريخ ابن

الراوندي الملحد.

وبيّن ابن النديم في كتاب **الفهرست** أنّ ثمة تصانيف أُخرى في أواخر القرن الثالث قد صنّفت أيضاً تحت عنوان (نظم القرآن) و(إعجاز القرآن)، وفي سنة (٣٧٧ هجري) قد ذكر عدداً من هذه المصنّفات بالنحو التالي^(١): «كتاب **إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه** لمحمّد بن يزيد الواسطي المعتزلي، كتاب **نظم القرآن** لابن الإخشيد، كتاب **البيان عن بعض الشعر مع فصاحة القرآن** للحسن بن جعفر البرجلي، كتاب **نظم القرآن** لأبي علي الحسن بن علي بن نصر»^(٢) وهؤلاء الأشخاص بأسرهم يميلون إلى المعتزلة^(٣)، كذلك قد نسب في **الفهرست**^(٤) عنوان (نظم القرآن) إلى أشخاص مثل ابن أبي داوود السجستاني (ت ٣١٦ هـ). كذلك أبو العباس النجاشي^(٥) نسب إلى الشلمغاني كتاباً بهذا العنوان، وقد نسب ياقوت الحموي أيضاً^(٦) مثل هذا الكتاب إلى أبي زيد أحمد ابن سهل البلخي (ت

(١) من الواضح أنّ الكتب التي ألفت تحت عنوان (نظم القرآن) كانت أكثر من الكتب التي جاءت تحت عنوان (إعجاز القرآن) وكانت متقدمة عليها، والظاهر أنّ أقدم كتاب صنّف تحت عنوان (إعجاز القرآن) يرجع إلى أوائل القرن الرابع، وقد نسب الداوودي مصنفاً تحت عنوان (إعجاز القرآن) إلى محمّد بن عمر بن سعيد الباهلي (ت ٣٠٠ هـ) من متكلمي المعتزلة (طبقات المفسرين ٢/٢١٩).

(٢) الفهرست لابن النديم: ٤١.

(٣) وقد عنون ابن النديم هذا الفصل من كتابه تحت عنوان: (الكتب المؤلفة في معاني شتى من القرآن)؛ حيث يتبيّن من خلال ذلك أنّه لم يكن لديهم في تلك الحقبة أبحاث وعناوين مثل (نظم القرآن) و(إعجاز القرآن) كأبحاث مستقلة وعناوين بارزة.

(٤) الفهرست لابن النديم: ٢٨٨.

(٥) رجال النجاشي ٢ / ٣٧٩.

(٦) معجم الأدباء ١/٢٧٥.

٣٢٨ هـ).

إنَّ معظم المصنَّفات الأنفة الذكر قد تمَّ تصنيفها في مركز العواصم العلمية والثقافية للعالم الإسلامي أي: العراق وبلاد الشام، وأمَّا في سائر البلدان الإسلامية مثل خراسان وما وراء النهر إلى المغرب والأندلس فإنَّ حركة التصنيف في موضوع إعجاز القرآن ونظمه وإن جاءت متأخرة بعض الشيء إلا أننا نرى العديد من هذه المصنَّفات في هذا المجال، فقد نسب أبو القاسم البخارزي (ت ٤٦٧ هـ) إلى أبي عبد الله محمد بن الهضيم (ت ٤٠٩ هـ) - من كراميين خراسان - كتاباً في باب (إعجاز القرآن) ويقول أنه كان قد رآه^(١)، وهذا الأمر يبيِّن لنا أنَّ موضوع (إعجاز القرآن) قد وصل في القرن الرابع الهجري إلى مدرسة نيشابور التفسيرية وإلى ما وراء النهر كذلك، وإنَّ أمثال أبي رشيد النيشابوري (ت ٤١٥ هـ) صاحب كتاب **زيادات الشرح**، الذي يعدُّ من تلامذة القاضي عبد الجبار ربَّما كان لهم سهم في انتقال هذا الأمر، وإنَّ الاهتمام بهذا الأمر قد ظهر بوضوح أيضاً في المصنَّفات التفسيرية لهذه المنطقة، مثل الثعلبي (ت ٤٢٨ هـ) والواحدي النيشابوري (ت ٤٦٨ هـ) في تفسيرهما لآيات سورة البقرة (٢٣) والإسراء (٨٨)، إلا أنه لم نعثر على إشارة لهذا الأمر في التفاسير الأكثر قدماً مثل **تفسير الماتريدي** (ت ٣٣٣ هـ) و**تفسير أبي الليث السمرقندي** (ت ٣٧٧ هـ). وأمَّا في المدرسة التفسيرية في المغرب فإنَّ أدبيات إعجاز القرآن وصلت إلى هناك مع شيءٍ من التأخير أيضاً؛

(١) «وقد تأملت كتابه في إعجاز القرآن فإذا عبارات فصيحة، وإشارات صحيحة» (بخارزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر ٨٨٩/٢).

فإنَّ أبا الوليد عبد الله بن محمَّد بن يوسف بن نصر الأزدى المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) على الرغم من أنه ذكر في كتابه **تاريخ علماء الأندلس** أسامي الكثير من علماء التفسير والقراءة والحديث والعلوم القرآنية في المغرب الإسلامي إلا أنه لم يتكلَّم عن أيِّ كتاب في باب (إعجاز أو نظم القرآن). وأمَّا **تفسير بقي بن مخلد** (ت ٢٧٦ هـ) الذي عدّه ابن حزم أوسع من **تفسير الطبري** فإنه لم يصلنا شيء منه، كذلك في أقدم تفاسير هذه المنطقة مثل **تفسير ابن أبي زمنين** (ت ٣٩٩ هـ) فإنه لم يأت بشيء في موضوع (إعجاز القرآن)، وحتى فيما يتعلَّق بتفسير آيات التحدي فإننا لم نعثر على أيِّ إشارة إلى هذا البحث ومع كلِّ ذلك فإنَّ مكِّي بن أبي طالب بن محمَّد بن المختار القيسي القيرواني (ت ٤٣٧ هـ) كان قد ألف كتابين في هذا المجال هما **بيان إعجاز القرآن** و**كتاب انتخاب كتاب الجرجاني في نظم القرآن**^(١).

إنَّ القرن الرابع الهجري هو الحقبة التي ظهر فيها ارتباط وثيق بين التنظير الكلامي في باب إعجاز القرآن وبين تفسير القرآن، ففي أواخر هذا القرن قد طرح التساؤل عن إعجاز القرآن في كتب العلماء والمفسرين - غالباً المعتملة - بكونه أمراً تفسيرياً وموضوعاً من موضوعات علوم القرآن، وإنَّ بعض مفسري المعتملة ومفسري التفاسير الأدبية المطلعين على المباحث الكلامية للمعتملة قد اهتموا بموضوع التنظير في وجه إعجاز القرآن وذلك في تفسيرهم على الآية (٨٨) من

(١) إنباه الرواة ٣ / ٧١٦ - ٣١٧.

سورة الإسراء، وقد نقل القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة^(١) أن أبا علي الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣ هـ) قد تطرّق في تفسيره إلى ردّ بعض تصريحات ابن الراوندي^(٢). وهو يقول أن أبا القاسم البلخي (٢٧٣ - ٣١٩ هـ) أيضاً قد تطرّق إلى ردّ انتقادات ابن الراوندي على الجاحظ^(٣). إنّ البلخي والجبائي كليهما من أهمّ متكلمي ومفسّري المعتزلة في القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، وللأسف فإنّه لم يتبقّ من مصنّفاتهم التفسيرية سوى ما وصل منها إلينا من خلال أقوالهم المنقولة في مصنّفات المتأخّرين^(٤).

هذا ومن خلال كلام القاضي عبد الجبار يتبيّن لنا أن موضوع (الصرفة) و(إعجاز ونظم القرآن) في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري يعتبر من أهمّ الموضوعات الكلامية التي أخذت طريقها إلى التفاسير القرآنية، فقد توفّرت الأرضية الخصبة لدخول بحوث إعجاز القرآن إلى كتب تفاسير معتزلة القرن الرابع بشكل واسع جداً، فأبو القاسم البلخي (ت ٣١٩ هـ)، أبو هاشم الجبائي (ت ٣٢١ هـ)، ابن الإخشيد (ت ٣٢٦ هـ)، الرّماني (ت ٣٨٦ هـ) والخطّابي

(١) تثبيت دلائل النبوة ٢ / ٥٢٩.

(٢) لاحظ المغني في أبواب التوحيد والعدل ١٥١/١٦ و ٣٩٠ حيث يقول القاضي عبد الجبار هناك أن أبا علي الجبائي قد ردّ على ابن الراوندي في دعاويه على القرآن.

(٣) تثبيت دلائل النبوة ٦٣/١، ٥٤٨/٢، ذكر هذا أبو القاسم البلخي في النقض على ابن الراوندي اعتراضه على أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في كتابه (نظم القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان).

(٤) للحصول على بعض آرائهم في باب إعجاز القرآن انظر: الشريف المرتضى، الذخيرة في علم الكلام: ٤٠٠ - ٤٠١.

السبتي (٣٨٨ هـ) هم من جملة المتكلمين الذين تطرّقوا للبحث التفصيلي في باب إعجاز القرآن آنذاك في رسائلهم المستقلة أو ضمن سائر كتبهم، إنَّ التفاسير والآثار الأدبية لهذا القرن فيها إشارات واضحة وطرح جادّ لموضوع إعجاز القرآن، ففي هذه الحقبة - وبغضّ النظر عن الآثار التفسيرية المفقودة لأبي علي الجبائي، أبي مسلم محمّد بن بحر الأصفهاني^(١)، أبي القاسم البلخي وأبي الحسن الرماني - لا بدّ لنا من ملاحظة الاهتمام الواضح والجادّ بموضوع إعجاز القرآن من قبل المفسّرين والأدباء مثل أبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) في **إعراب القرآن**^(٢)، أبي بكر الرّازي المعروف بالجصاص (ت ٣٧٠ هـ) في **تفسير أحكام القرآن**^(٣)، وأبي هلال العسكري (ت حدود ٤٠٠ هـ) في **كتاب الصناعتين**^(٤). ومع شدّة الأبحاث واحتدامها حول هذه الموضوعات، فإنّ تبين (وجه إعجاز القرآن) قد شقّ طريقه إلى الآثار التفسيرية لأدباء ومتكلمي الشيعة والمعتزلة والأشاعرة ومن ثمّ إلى سائر المفسّرين حيث ذكره بكّرات منذ القرن الخامس في تفاسيرهم؛ فالباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، الشيخ المفيد (ت ٤٠٣ هـ)، القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ)، الوزير المغربي (ت ٤١٨ هـ)، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، أبو صلاح الحلبي (ت

(١) قد نقل السيوطي رأي الإصفهاني في باب (إعجاز القرآن) من نفس تفسيره حيث قال: «وقال الإصبهاني في تفسيره: أعلم أنّ إعجاز القرآن ذكر من وجهين: أحدهما إعجاز يتعلّق بنفسه، والثاني بصرف الناس عن معارضته» (الاتقان ٢ / ٢٤٥).

(٢) إعراب القرآن ٢ / ٢٨٣.

(٣) أحكام القرآن ٤ / ٣٣ - ٣٤؛ ٥ / ٣٥.

(٤) الصناعتين: ١ - ٢، «إنّ أحقّ العلوم بالتعلّم، وأولاها بالتحفّظ - بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى».

٤٤٧ هـ)، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ) تعدّ آراؤهم ومصنّفاتهم بأسرها من نتاج عهد تكامل وتطوّر البحث عن (إعجاز القرآن).

خلاصة البحث

إنّ المفسّرين وسائر علماء الإسلام في القرون الأولى كانوا يعدّون آيات التحدّي في القرآن إنّما جاء بها محكم القرآن لتأييد مدّعاه على صحّة دعوة الرسول الأعظم ﷺ ولأصالة كون القرآن من عند الله، ومع ظهور البحوث العلمية في المجتمع الإسلامي في غضون القرون الأولى فإنّ مفهوم (إعجاز القرآن) وعدم إمكان تقليده مع تبين وجه إعجازه بدأت تدريجياً تظهر ملامحه واضحة وأكثر تكاملاً، حتّى جاء متكلمو المعتزلة في أواخر القرن الثالث الهجري بنظريّات مختلفة في هذا الشأن.

هناك عاملان أساسيان لهما دور مهمّ في عملية الانتقال من مفهوم (التحدّي) إلى مفهوم (إعجاز القرآن) وتبيين الوجوه المختلفة للإعجاز القرآني؛ الأول: هو محاججات المسيحيين واليهود لردّ صدق رسالة الرسول الأعظم ﷺ والدين الإسلامي في تلك القرون، بحيث أدّى ذلك في المقابل من جانب المسلمين إلى تصنيف كتب كثيرة في الدفاع عن رسالة الرسول الأعظم ﷺ وإثبات وتثبيت رسالته، وقد أدّى هذا الأمر إلى ظهور مجموعة ضخمة من الكتب جاءت تحت العناوين التالية: **دلائل النبوة، أعلام النبوة، أمارات النبوة، إثبات**

النبوة، إثبات نبوة النبي ﷺ، تثبيت نبوة النبي ﷺ، تثبيت دلائل النبوة؛ فإن إنكار وجود المعجزات للرسول الأعظم ﷺ وردّ نظرية (الإعجاز) وعدم إمكان تقليد القرآن في مصنّفات المسيحيين واليهود من جانب وسعي رقباثهم في حضيصة الإسلام من العلماء والمتكلّمين للردّ عليهم من جانب آخر صار سبباً لوجود ثلاث نظريّات مختلفة في باب (إعجاز القرآن) في نهاية القرن الثالث الهجري وهي: الصرفة، نظم القرآن، والإخبار عن الغيب.

إلى جانب هذا العامل هناك عامل المواجهات العلمية بين مختلف الفرق الإسلامية وخاصة أهل الحديث، الزيدية، والمعتزلة، وكذلك اختلاف الآراء الأدبية والاعتقادية في خصوص المتن القرآني، كل ذلك ساعد على تبلور هذا الأمر بشكل أكبر.

ومع بداية القرن الرابع الهجري نرى الكثير من المتكلّمين والأدباء الإسلاميين مثل: أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ)، أبو الحسن الخياط (ت ٣١١هـ)، أبو القاسم البلخي (ت ٣١٩هـ)، أبو هاشم الجبائي (ت ٣٢١هـ)، أبو مسلم محمد ابن بحر الإصفهاني (ت ٣٢٣هـ)، ابن الإخشيد (ت ٣٢٦هـ)، أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص (ت ٣٧٠هـ)، أبو الحسن الرّماني (ت ٣٨٦هـ)، الخطّابي السبتي (ت ٣٨٨هـ) وأبو هلال العسكري (ت حدود ٤٠٠هـ) قد أقحموا في تفاسيرهم موضوع إعجاز القرآن وتبيين مختلف جوانبه مضافاً إلى أجوبتهم في الردّ على مخالفهم.

ومنذ بداية القرن الخامس الهجري أضحي موضوع إعجاز القرآن مع

جوانبه المتداخلة والمختلفة في تفاسير وكتب علوم القرآن أمراً رائعاً، فإن آراء ومصنّفات الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ)، الوزير المغربي (ت ٤١٨ هـ)، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، أبي الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧ هـ)، ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ) كلّها تعدّ نتاجاً لعهد تكامل وتطوّر البحث عن إعجاز القرآن.

المصادر

القرآن الكريم.

- ١- الاتّجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز عند المعتزلة): أبو زيد، نصر حامد، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨ م.
- ٢- الاتّقان في علوم القرآن: السيوطي، جلال الدين، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠١ م/هـ ١٤٢١.
- ٣- إعراب القرآن: النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ.
- ٤- أعلام النبوة (الردّ على الملحّد أبي بكر الرازي): الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، بيروت: دار السّاقى بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتّحديث الفكري، ٢٠٠٣ م.
- ٥- إنباه الرواة على أنباه النّحاة: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤ هـ.
- ٦- الانتصار والردّ على ابن الراوندي الملحّد: النّخّاط، أبو الحسين عبد الرحيم بن محمّد، تحقيق: نيبرج، القاهرة، ١٩٢٥ م/١٣٤٤ هـ.

٧- الأنساب: السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمّد بن منصور التميمي، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلّم اليمني، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٢م/١٣٨٢هـ

٨- تاريخ ابن الريوندي الملحد (نصوص ووثائق من المصادر العربية خلال ألف عام): الأعم، عبد الأمير، بيروت: دار الوفاق الجديدة، ١٦٧٥م/١٣٩٥هـ

٩- تاريخ علماء الأندلس: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمّد بن يوسف بن نصر الأزد، تحقيق: عزّت العطار الحسيني، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨م/١٤٠٨هـ

١٠- تثبيت دلائل النبوة: القاضي عبد الجبار.

١١- تفسير أحكام القرآن: الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي، بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٥هـ

١٢- تفسير العياشي: العياشي، محمّد بن مسعود، تحقيق: سيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، طهران: المطبعة العلمية، ١٣٨٠هـ

١٣- تفسير القمي: القمي، علي بن إبراهيم، تحقيق: السيّد طيّب الموسوي الجزائري، قم: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ

١٤- تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٣هـ

١٥- ثبوت النبوات عقلاً ونقلًا والمعجزات والكرامات: ابن تيمية، تقي الدين، تحقيق: محمّد يسري سلامة، القاهرة: دار ابن الجوزي، ٢٠٠٦م/١٤٢٧هـ

جذور نشأة نظرية إعجاز القرآن ٢٢٩

١٦ - جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، بيروت: دارالمعرفة، ١٤١٢ هـ.

١٧ - جمال القراء وكمال الإقراء: السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، بيروت: مؤسّسة الكتب الثقافية، ١٩٩٩م/١٤١٩ هـ.

١٨ - الحكايات في مخالقات المعتزلة من العدلية: الشيخ المفيد، محمد بن محمد، السيّد محمد رضا الحسيني، قم: مؤتمر الشيخ المفيد، ١٤١٣ هـ.

١٩ - الحيوان: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م/١٤٢٤ هـ.

٢٠ - الخصال: ابن بابويه، محمد بن علي، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٣٦٢ هـ.ش.

٢١ - دمية القصر وعصرة أهل العصر: الباخري، أبو الطيّب، منشورات محمد التونجي، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣م/١٤١٤ هـ.

٢٢ - الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ: ابن ربّان الطبري، أبو الحسن علي بن سهل، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٣م/١٣٩٣ هـ.

٢٣ - الذخيرة في علم الكلام: الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي، تحقيق: سيّد أحمد الحسيني، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١١ هـ.

٢٤ - الردّ على النصارى: الرّسي، القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل، تحقيق: إمام حنفي عبد الله، القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٠ م.

٢٣٠ تراثنا / ١٤٤

٢٥- رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه بها إلى الإسلام، ورسالة الكندي إلى الهاشمي يردّ بها عليه ويدعوه إلى النصرانية في أيام الخليفة العبّاسي المأمون سنة (٢٤٧هـ - ٨٦١م): الكندي، عبد المسيح بن إسحاق، تصحيح: ويليام ميور، لندن ١٨٨٥ م.

٢٦- السيرة النبوية: ابن هشام، عبد الملك الحميري المعافري، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، بيروت: دارالمعرفة، بدون تاريخ.

٢٧- طبقات المعتزلة: ابن المرتضى، أحمد بن يحيى، تحقيق: سوسنه ديفلد فلرز، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦١م/ ١٣٨٠هـ

٢٨- العقد الفريد: ابن عبد ربّه، شهاب الدين أبو عمرو أحمد بن محمّد، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ

٢٩- عيون أخبار الرضا: ابن بابويه، محمّد بن علي، تصحيح: مهدي لاجوردي، طهران: منشورات جهان، ١٣٧٨هـ

٣٠- الفتوح: ابن أعمم الكوفي، أبو محمّد أحمد، تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الأضواء، ١٩٩١م/ ١٤١١هـ

٣١- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم: البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ

٣٢- فرق الشيعة: النوبختي، حسن بن موسى، بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٤هـ

٣٣- الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرابع: الشّرفي، عبد المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.

جذور نشأة نظرية إعجاز القرآن ٢٣١

٣٤- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر: الجمصي، نعيم، بيروت: مؤسّسة الرسالة، ١٩٨١م/١٤٠٠هـ.

٣٥- الفهرست: ابن النديم البغدادي، محمّد بن إسحاق، طباعة رضا تجديد، طهران، ١٣٥٠هـش.

٣٦- فهرست أسماء مصنّفي الشيعة المشتهر برجال النجاشي: النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي، تصحيح موسى الشبيري الزنجاني، قم: جامعة مدرّسين الحوزة العلمية، قم، ١٤١٨هـ.

٣٧- قضية إعجاز القرآن عند الجاحظ: القصاب، وليد، مقالة في مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، ش ٤، ١٤٠٩هـ.

٣٨- القول بالصرفة في إعجاز القرآن: الشهري، عبد الرحمن بن معاضة، القاهرة: دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ.

٣٩- الكافي: الكليني، محمّد بن يعقوب، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، طهران: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

٤٠- كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري، بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ.

٤١- المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمّد، القاهرة: مكتبة الوهبة، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

٤٢- مجاز القرآن: أبو عبيدة، معمر بن مثنى، تحقيق: محمّد فؤاد سزگين، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.

٤٣- (مديح القرآن الكبير) في كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي: الرسي، القاسم بن إبراهيم، تحقيق: عبد الكريم أحمد جدبان، مجلّدان، صنعاء: دار الحكمة اليمنية، ٢٠٠١ م.

٤٤- معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمّد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيلي الشلبي، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.

٤٥- المعجزة الكبرى: أبو زهرة، محمّد، القاهرة: دارالفكر العربي، ١٩٩٨ م / ١٤١٨ هـ.

٤٦- معجم الأدباء: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ.

٤٧- المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، أبو الحسن، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٠-١٩٦٥ م.

٤٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين: الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق: هلموت ريتز، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٤٩- الملل والنحل: البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، تحقيق: البير نصري نادر، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٢ م.

٥٠- الملل والنحل: الشهرستاني، عبد الكريم بن أبي بكر، تحقيق: محمّد بدران، قم: منشورات الشريف الرضي، ١٣٦٤ هـ.ش.

٥١- المنتقد من التقليد والمرشد إلى التوحيد: الجمصي الرازي، سديد الدين محمود بن علي، تقديم: محمّد هادي اليوسفي الغروي، قم: مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤١٢ هـ.

جذور نشأة نظرية إعجاز القرآن ٢٣٣

٥٢ - الموضح عن جهة إعجاز القرآن: الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي،

مشهد: بنياد پژوهش هاي إسلامي آستان قدس رضوي، ١٣٨٢ هـ ش / ١٤٢٤ هـ ق.

٥٣ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد: الواحدي النيشابوري، أبو الحسن علي بن أحمد

ابن محمّد بن علي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت: دار الكتب

العلمية، ١٩٩٤م / ١٤١٥ هـ.

٥٤ - الهداية الكبرى: الخصيبي، الحسين بن حمدان، بيروت: دار البلاغ، ١٤١٩ هـ.

٥٥ - Abdul Aleem (1933) "Ijaz uI-Qur'an." **Islamic Culture** vol.7.

٥٦ - Adang, Camilla (1996). **Muslim writers on Judaism and the Hebrew Bible: from Ibn Rabban to Ibn Hazm**. Leiden: Brill.

٥٧ - Griffith, Sidney H. (1999/1). "The Prophet Muhammad: his Scripture and message according to the Christian apologies in Arabic and Syriac from the first Abbasid century" in **The Life of Muhammad** ed. Uri Rubin, Aldershot: Ashgate.

٥٨ - Ibid, (1999/2) " The Qur'an in Arab Christian texts: the development of an apologetical argument: Abu Qurrah in the Maglis of al-Ma'mun " **Parole de l'Orient: revue semestrielle des etudes syriaques at arabes chretiennes: recherches orientales: revue d'etudes et de recherches sur les eglises de langue syriaque** 24 (1999).

٥٩ – Ibid (2008). **The Church in the Shadow of the Mosque: Christians and Muslims in the World of Islam, jews, Christians. and Muslims from the Ancient to the Modern World**, Princeton: Princeton University Press.

٦٠ – Keating, Sandra Toenies (2007). **Defending the "people of truth" in the early Islamic period: the Christian apologies of Abu Raitah** Leiden: Brill.

٦١ – Madelung, Wilferd (1991). "Al-Qasim ibn Ibrahim and Christian theology" **ARAM** 3 (1991).

٦٢ – Ibid, (1965), **Der Imam al-Qasim ibn Ibahim und die Glaubenslehre der Zaiditen**, Berlin: Walter de Gruyter.

٦٣ – Martin, Richard (1980). "The role of the Basrah mu tazilah in formulation the doctrine of the apologetic miracle," **Journal of Near Eastern Studies** 39iii (1980).

٦٤ – Modarressi, Hossein (2003). **Tradition and survival: A bibliographic survery of early Shi ite literature**, Oxford: Oneworld.

٦٥ – Rashed Marwan (2008), "New evidence on the critique of the Qur'anic miracle at the end of the third/ninth century: Qusta ibn

Luqa vs. the Banu al- Munajjim," **In the age of al-Farabi: Arabic philosophy in the fourth/tenth century**, edited by Peter Adamson, Lodnon: Warburg Institute/Turin: Nino Aragno Editore (Warburg Institute Colleoquia no. 12), 2008.

٦٦ – Samir, Samir Khall (1981). "Une correspondance islamo-chretienne entre ibn al-Munaggim. Hunaym ibn Ishaq et Qusta ibn Luqa," Franch Translatoin by Paul Nwyia, **Patrologia Wrientalis**, 40iv/185 (1981).

٦٧ – Shmidtke, Sabina (2012). "Biblical Predictions of the Prophet Muhammad among the Zaydis of Iran" **Arabica** 59 (2012).

٦٨ – Tartar, Georges (1982). "L'authenticit des epitres d'al-Hasimi et d'al-Kindi sous le calife al-Ma'mun (813-834)," **Actes du premier Congres d'Etudes Arabes Chretiennes**, edited by Khalil Samir, Rome: Pontificum Institutum Studiorum Orientalium / pontitieio Istituto Orientale, 1982.

٦٩ – Thomas, David (2011) "Miracles in Islam," in Graham H. Twelftree (ed), **The Cambridge companion to miracles**, Cambridge, 2011.

٧٠ – Ibid, (2003), **Christians at the geart of Islamic rule: church life and scholarship in Abbasid Iraq**, Leiden: Brill.

٧١ – Ibid & Barbara Roggema (2009-2011). **Chrisian-Muslim Relations. A Bibtiographical History**. Volume 1 (600-900), Leiden: Brill.

٧٢ – Van Ess, Josef (1991-1997). **Theologie und Gesellschaft im 2. und 3. Jahrhundert Hidschra: Eine Geschichte des religiosen Denkens im Fruhen Islam**, Berlin: Walter de Gruyter.

٧٣ – Von Grunebaum, G. E. (1993). "I djaz," in **The Encyclopaedia of Islam**, 2nd edition, vol. 3.

٧٤ – Wansbrough, John (1997). **Quranic Studies: sources and methods of scriptural interprefation**, Oxford: Oxford University Press.

٧٥ – Zilio-Grandi, Ida (1998). "La refutazione della profezia di Muhammad e del miracolol coranico di Qusta ibn Luqa" **parole de l'Orient: revue semestrielle des etudes syriaques at arabes chretiennes: recherches orientales: revue d'etudes et de recherches sur les eglises de langue syriaque** 22/1997 (1998).